

معالجته الإجرام

يمكن أن نجد الصلة بين المجرم والمجنون في ناحية اجتماعية معينة هي عجز كل منهما عن الملازمة بديه وبين الوسط .

فالمجنون - سواء أكان مبتدئا باسيوروز أو متنبيا بالسيكوز - يجد نفسه عاجزا عن التوفيق بين مطالبه الانسانية ومطالب المجتمع الغيرية فيعمد إلى الاختلاء . ويكظم في نفسه شهواته ويتجنب الاختلاط ويستسلم للاحلام والأمانى التي تعوضه من الحقائق المؤلمة ، وقد يهرب من هذه الحقائق بالحر . وقد تنهى الأمانى التي يسلى بها إلى سيكوز أى جنون كامل . وهو في كل هذه الحالات كاطم عاجز عن مواجهة الحقائق يضع شهواته الانسانية التي جسمتها في نفسه مساوئ التربية أيام الطفولة أو عقبات أخرى فوق مصالح المجتمع .

وكذلك المجرم يجد نفسه عاجزا عن التوفيق بين مطالبه الانسانية ومطالب المجتمع الغيرية ولكنه يختلف عن المجنون أو الرائع بأنه لا يكظم بل يتزج بالعمل . والعمل هنا هو الجريمة فالزائع يخلو إلى نفسه ويعتقد أنه مظلوم ويحذ ويستسلم للأمانى ولا يؤدي عملا مفيدا وهو في هذه الحال ، وقد يفر من المجتمع بالحر . ولكن المجرم عند ما يجد أنه غير ملتزم مع المجتمع يعمد إلى التفریح عن كظمه بالهجوم على مختلف أوضاعه فيسرق أو يفسق أو يقتل .

والفرز لا لانسانية ليست جميعها على درجة واحدة من القوة والثبات في أنفسنا ، فأقوى نغرائز عندنا هي تلك التي تخدم أنا نيتنا من طلب الطعام والخمس الآخر والاقضاء الخاص ، وأضعفها هي تلك التي تخدم اجتماع كالرغبة في الاقامة مع الناس وكرهه الانفراد وكالرغبة في المساواة والعدل والبروما تجر هذه المعاني من أخلاق أخرى .

وإذا وجد أحدنا نفسه في مأزق قد اصطدمت فيه الفرز الانفرادية بالفرز الاجتماعية فإنه يحتاج إلى أن يزن جميع العوامل والعناصر لكي يوفق بينهما ويعيش في المجتمع المعيشة انراضية التي تحول بيه وبين أن يكون عضوا نشرا فيه ، فإذا لم يوفق إلى هذا فإنه ينتهي بالزئغ النفسى . فإذا اتخذ هذا الزئغ أسلوب الكظم كان جنونا (سيوروز أو سيكوز) وإذا اتخذ طريقة التفریح كان إجراما .

فالمجرم والمجنون كلاهما زائع . ولكن الزئغ عند المجنون يجد الآن المعالجة النفسية الرفيقة التي يقصد منها إلى رده إلى المجتمع . وذلك بأن نوضح له أن ازوهام والأسلوب الذى يتبعه في زئغه إن هي إلا وسائل يريد بها الفرار من الواقع . وأنه يجب عليه أن يواجه هذا الواقع

بكل ما فيه من صعوبات . وهى صعوبات يعتقد هو انها فوق طاقته ولكنها فى الحقيقة ليست كذلك .

أما الزرع عند المجرم فلا يجد أية معارضة نفسية . بل نحن نعامله كما نعامل المجانين قبل نحو قرن ، حين كنا نحبسهم ونعتقد أن بهم روحا شريرا يتسلط على سلوكهم . وقد ثبت أن ٧٥ فى المائة من المجانين يمكن علاجهم لأن أمراضهم نفسية وليست عضوية . مع أنه لم يكن يشفى منهم أحد حين كان الحبس هو الأسلوب الوحيد للمعاملة .

فهل نستطيع أن نعالج الإجرام بنفس الأسلوب الذى عولج به الجنون ؟ وكيف تكون هذه المعالجة ؟

إن الأساليب التى تتبع مع المجنون متعذرة ؛ ولكن العناية واحدة ، وهى رده الى مجتمع بمواجهة الواقع حتى يشتم ويتعاون معه . وهذا ممكن مع المجرم أيضا .

ولكن هناك فرقا بين المجنون والمجرم ، فإن المجنون فى أغلب الحالات يحترف ويمارس عملا ثم يمتنع الى الزرع لأسباب اجتماعية فى أغلب الأحوال . ولكن المجرم يمتنع أى الزرع أى الاجرام لأسباب اقتصادية فى أغلب الأحوال ، أى أنه لا يمارس حرفة كاسية . وهو يكره الجهد والمثابرة والمرارة التى يحتاج اليها نظام العمل فى مجتمعا . فالمجرم يحتاج لهذا السبب الى أن نعلمه عملا كاسيا يكفل له العيش ويثبت له مه أنه يمكنه أن يعيش به عيشا راضيا بعيدا عن أخطار السرقة والبطش والتزوير وسائر أنواع الزرع .

ولسنا فى حاجة الى أن نشرح عيوب السجن . فكلنا يعرفها ، ولسنا فيها منفردين لأن عشرات الدول الأخرى تعالج الجريمة بالسجن كما نعالجها . وإذا استئذنا دولة أو دولتين تعالج المسجون بالتعليم والتدريب اللذين يؤهلانه لأن يعمل ويكسب ويستبدل بالاجرام كسبا حلالا من عمل حلال فمن لا نكاد نجد أى تجديد فى النظر الى الاجرام .

وقد قلنا إننا لسنا فى حاجة الى أن نشرح عيوب السجن . إذ من من يجهلها ؟ ألسنا نرى المجرمين يخرجون بعد سنوات قضاؤها فى أعمال لا هى تعيد الدولة لإنتاج له قيمته ، ولا هى تفيدهم بتعليم أو تدريب . وسرعان ما يهودون الى السجن ويجزون بعقوبات أقسى مما نزل بهم فى المرآت السابقة . ثم تقضى المدة الجديدة ثم تعاد العقوبة وهم جرا

وهذه الحال لها ما يائنها فى جميع الأقطار . فقد قام الأستاذ هيرمان مانهم بجامعة لندن بإحصاء جمع فيه التفاصيل الخاصة بعدد من المسجونين بين ١١٩٧ وس المسجونات بين ٧٧ فى مدة عشرين سنة تقع بين سنة ١٩١٥ وس ١٩٣٥ فى اسجون الانجليزية . وليس بين هؤلاء مسجون أو مسجونة إلا وقد حبست أربع مرات على الأقل ومن عجيب ما وجد

أن فترة الحرية التي قضاها كل من هؤلاء بين الإفراج والأشغال قصيرة جدا، وإليك بعض الأمثلة من حياة هؤلاء المجرمين :

في	٣١	سنة	قضى	مسجون	٣٠	سنة	في	السجن	بثمانية	أحكام .
»	٢٦	»	»	»	٢٤	»	»	»	بعشرة	»
»	٢٣	»	»	»	١٩	»	»	»	بسته	»
»	٢٠	»	»	»	١٩	»	»	»	بخمسة	»
»	٢٦	»	»	»	٢٠	»	»	»	بسته	»
»	٢٢	»	»	»	٢٠	»	»	»	بخمسة	»

وهذه الأرقام تدل القارئ على أن السجن يكاد يتأدى المسجونين بعد خروجهم . لأنه قد رتب لهم أسلوبا في العيش يعجزهم عن الملاءمة بينهم وبين المجتمع .

ومما وجدته الأستاذ مانهم بعد أن بحث حالات ٧١١ عاتدا و ٤٥ مائة أن ٦٠٪ منهم قد ارتكبوا الجريمة الأولى قبل أن يبلغوا الثانية والعشرين من أعمارهم ، وأن ١٣٪ من الرجال العائدين ارتكبوا الجريمة الأولى قبل أن يبلغوا الثالثة عشرة من أعمارهم . وقليل جدا هم الذين ارتكبوا الجريمة الأولى بعد الأربعين . ومن هنا نفهم أن الاجرام أسلوب يتبعه المجرم منذ شبابه بل صباه ، لأنه عاجز عن اتخاذ أسلوب اجتماعي آخر .

ووجد الأستاذ مانهم أيضا أن أعظم الأسباب لجرائم الصغار تعود إلى الفاقة البيئية إما لأن العائل متوفى ، وإما لأنه عاطل مريض عاجز عن الكسب ، وإما لأن الوسط البيئي أو المدرسي سيء . وقد رتب هذه الظروف من ناحية درجاتها في استحداث الاجرام في الصبيان بما يلي :

الأحوال البيئية سبب للإجرام في ١٣٣

تعطل العامل » » ١٠٨

الاختلال الذهني » » ١٤٤

ولكن هذا الاختلال الذهني قد يكون هو الآخر نتيجة لسوء المعيشة البيئية .

ويستنتج المؤلف أن الفاقة هي السبب الأكبر للجرائم الصغيرة . وهي أيضا أحد الأسباب للجرائم الكبيرة . ولكن العبرة الكبرى من الكتاب أن السجن لا يعالج المجرمين .